**اسم المادة الدراسية باللغة العربية : عصر الرسالة**

**اسم المادة الدراسية باللغة الانكليزية : History of the Prophetical Period**

**اسم المحاضرة : غزوة بدر الكبرى**

**اسم التدريسي : أ.د.مظهر عبد علي**

**المستوى الدراسي : الأول**

**الدراسة : الصباحية**

**الأسبوع : السابع**

**غزوة بدر الكبرى سنة 2هـ**

**مرحلة ما قبل المعركة**

بلغ المسلمين تحركُّ قافلة تجارية كبيرة من الشام تحمل أموالاً عظيمة لقريش يقودها أبو سفيان ويقوم على حراستها بين ثلاثين وأربعين رجلاً ، فأرسل الرسول صلى الله عليه وسلم بَسْبَس بن عمرو لجمع المعلومات عن القافلة، فلما عاد بسبس بالخبر اليقين ، ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه للخروج وقال لهم: «هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها» ، وكان خروجه من المدينة في اليوم الثاني عشر من شهر رمضان المبارك من السنة الثانية للهجرة ، ومن المؤكد أنه حين خروجه صلى الله عليه وسلم من المدينة لم يكن في نيته قتال ، وإنما كان قصده عير قريش , وكانت الحالة بين المسلمين وكفار مكة حالة حرب ، وفي حالة الحرب تكون أموال العدو ودماؤهم مباحة ، فكيف إذا علمنا أن جزءاً من هذه الأموال الموجودة في القوافل القرشية كانت للمهاجرين المسلمين من أهل مكة قد استولى عليها المشركون ظلمًا وعدواناً .

كلف رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أم مكتوم بالصلاة بالناس في المدينة عند خروجه إلى بدر، ثم أعاد أبا لبابة من الروحاء إلى المدينة وعينه أميراً عليها .

أرسل النبي صلى الله عليه وسلم اثنين من أصحابه إلى بدر طليعة للتعرف على أخبار القافلة ، فرجعا إليه بخبرها , وقد حصل خلاف بين المصادر الصحيحة حول عدد الصحابة الذين رافقوا النبي صلى الله عليه وسلم في غزوته هذه إلى بدر، ففي حين جعلهم البخاري «بضعة عشر وثلاثمائة» ، يذكر مسلم بأنهم ثلاثمائة وتسعة عشرة رجلاً ، في حين ذكرت المصادر أسماء ثلاثمائة وأربعين من الصحابة البدريين , وكانت قوات المسلمين في بدر لا تمثل القدرة العسكرية القصوى للدولة الإسلامية ، ذلك أنهم إنما خرجوا لاعتراض قافلة واحتوائها ، ولم يكونوا يعلمون أنهم سوف يواجهون قوات قريش وأحلافها مجتمعة للحرب ، والتي بلغ تعدادها ألفًا معهم مائتا فرس يقودونها إلى جانب جمالهم ، ومعهم القيان يضربون بالدفوف ، ويغنين بهجاء النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، في حين لم يكن مع القوات الإسلامية من الخيل إلا فرسان ، وكان معهم سبعون بعيراً يتعاقبون ركوبها .

**بعض الحوادث في أثناء المسير إلى بدر:**

حدثت بعض الحوادث في أثناء مسير النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهي :

1- إرجاع البراء بن عازب وابن عمر لصغرهما: وبعد خروج النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المدينة في طريقهم إلى ملاقاة عير أبي سفيان ، وصلوا إلى (بيوت السقيا) خارج المدينة ، فعسكر فيها النبي صلى الله عليه وسلم , واستعرض صلى الله عليه وسلم من خرج معه فرد من ليس له قدرة على المضي من جيش المسلمين ، وملاقاة من يحتمل نشوب قتال معهم ، فرد على هذا الأساس البراء بن عازب ، وعبد الله بن عمر لصغرهما ، وكانا قد خرجا مع النبي صلى الله عليه وسلم راغبين وعازمين على الاشتراك في الجهاد .

2- وفي أثناء سير النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه ، التحق أحد المشركين راغباً بالقتال مع قومه ، فرده الرسول صلى الله عليه وسلم وقال: «ارجع فلن أستعين بمشرك» وكرر الرجل المحاولة فرفض الرسول حتى أسلم الرجل والتحق بالمسلمين .

3- مشاركة النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في الصعاب ، فعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير, كان أبو لبابة وعلي بن أبي طالب زميلي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: وكانت عقبة رسول الله , قال: فقالا: نحن نمشي عنك. فقال: «ما أنتما بأقوى مني ، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما» .

**العزم على ملاقاة المسلمين ببدر:**

بلغ أبا سفيان خبر مسير النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه من المدينة بقصد اعتراض قافلته واحتوائها ، فبادر إلى تحول مسارها إلى طريق الساحل ، في نفس الوقت أرسل عمرو بن ضمضم الغفاري إلى قريش يستنفرها لإنقاذ قافلتها وأموالها , فقد كان أبو سفيان يقظاً حذراً ، يتلقط أخبار المسلمين ويسأل عن تحركاتهم ، بل يتحسس أخبارهم بنفسه ، فقد تقدم إلى بدر بنفسه ، وسأل من كان هناك: (هل رأيتم من أحد؟) قالوا: لا. إلا رجلين قال: (أروني مناخ ركابهما ، فأروه ، فأخذ البعر ففته فإذا هو فيه النوى ، فقال: هذا والله علائف يثرب) . فقد استطاع أن يعرف تحركات عدوه , حتى خبر السرية الاستطلاعية عن طريق غذاء دوابها ، بفحصه البعر الذي خلفته الإبل ، إذ عرف أن الرجلين من المدينة أي من المسلمين ، وبالتالي فقافلته في خطر، فأرسل عمرو بن ضمضم إلى قريش وغيَّر طريق القافلة ، واتجه نحو ساحل البحر .

كان وقع خبر القافلة شديداً على قريش ، التي اشتاط زعماؤها غضباً لما يرونه من امتهان للكرامة ، وتعريض للمصالح الاقتصادية للأخطار إلى جانب ما ينجم عن ذلك من انحطاط لمكانة قريش بين القبائل العربية الأخرى ؛ ولذلك فقد سعوا إلى الخروج لمجابهة الأمر بأقصى طاقاتهم القتالية .

لقد جاءهم عمرو بن ضمضم الغفاري بصورة مثيرة جداً يتأثر بها كل من رآها ، أو سمع بها ، إذ جاءهم وقد حول رحله وجدع أنف بعيره ، وشق قميصه من قُبُل ومن دُبُر، ودخل مكة وهو ينادي بأعلى صوته: يا معشر قريش: اللطيمة ، اللطيمة , أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه ، لا أرى أن تدركوها ، الغوث ، الغوث .

وعندما أمن أبو سفيان على سلامة القافلة أرسل إلى زعماء قريش وهو بالجحفة برسالة أخبرهم فيها بنجاته والقافلة ، وطلب منهم العودة إلى مكة ، وذلك أدى إلى حصول انقسام حاد في آراء زعماء قريش ، فقد أصر أغلبهم على التقدم نحو بدر من أجل تأديب المسلمين وتأمين سلامة طريق التجارة القرشية , وإشعار القبائل العربية الأخرى بمدى قوة قريش وسلطانها ، وقد انشق بنو زهرة ، وتخلف في الأصل بنو عدي ، فعاد بنو زهرة إلى مكة ، أما غالبية قوات قريش وأحلافهم فقد تقدمت حتى وصلت بدراً .

**ثالثاً : مشاورة النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه :**

لما بلغ النبيَّ صلى الله عليه وسلم نجاةُ القافلة وإصرار زعماء مكة على قتال النبي صلى الله عليه وسلم استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه في الأمر, وأبدى بعض الصحابة عدم ارتياحهم لمسألة المواجهة الحربية مع قريش ، حيث إنهم لم يتوقعوا المواجهة ولم يستعدوا لها ، وحاولوا إقناع الرسول صلى الله عليه وسلم بوجهة نظرهم ، وقد صور القرآن الكريم، موقفهم وأحوال الفئة المؤمنة عمومًا في قوله تعالى: (كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ - يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إلى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ - وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتِيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللهُ أَن يُّحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ - لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ) [الأنفال: 5 - 8] ، وقد أجمع قادة المهاجرين على تأييد فكرة التقدم لملاقاة العدو, وكان للمقداد بن الأسود موقفٌ متميزٌ، فقد قال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -: شهدت من المقداد بن الأسود مشهداً لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عُدلَ به: أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعو على المشركين فقال: لا نقول كما قال قوم موسى: (قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ) [المائدة: 24] ، ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك , وبين يديك وخلفك .

فرأيت الرسول صلى الله عليه وسلم أشرق وجهه وسرَّه ، وفي رواية: قال المقداد: يا رسول الله ، لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: (فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ) ولكن امضِ ونحن معك ، فكأنه سرَّى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبعد ذلك عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أشيروا عليَّ أيها الناس» ، وكان إنما يقصد الأنصار؛ لأنهم غالبية جنده ، ولأن بيعة العقبة الثانية لم تكن في ظاهرها ملزمة لهم بحماية الرسول صلى الله عليه وسلم خارج المدينة ، وقد أدرك الصحابي سعد بن معاذ ، وهو حامل لواء الأنصار، مقصد النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك فنهض قائلاً: «والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وسلم: «أجل» . قال: (لقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ، إنا لصبر في الحرب ، صدق عند اللقاء ، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر على بركة الله) .

سُرَّ النبي صلى الله عليه وسلم من مقالة سعد بن معاذ ، ونشطه ذلك فقال صلى الله عليه وسلم: «سيروا وأبشروا فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم» ، كانت كلمات سعد مشجعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وملهبة لمشاعر الصحابة فقد رفعت معنويات الصحابة وشجعتهم على القتال ، إن حرص النبي صلى الله عليه وسلم على استشارة أصحابه في الغزوات يدل على تأكيد أهمية الشورى في الحروب بالذات ؛ ذلك لأن الحروب تقرر مصير الأمم ، فإما إلى العلياء ، وإما تحت الغبراء .

**رابعاً : المسير إلى لقاء العدو وجمع المعلومات عنه :**

نظم النبي صلى الله عليه وسلم جنده بعد أن رأى طاعة الصحابة وشجاعتهم واجتماعهم على القتال ، وعقد اللواء الأبيض وسلَّمه إلى مصعب بن عمير، وأعطى رايتين سوداوين إلى سعد بن معاذ ، وعلي بن أبي طالب، وجعل على الساقة قيس بن أبي صعصعة ، وقام صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر يستكشف أحوال جيش المشركين ، وبينما هما يتجولان في تلك المنطقة لقيا شيخا من العرب ، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جيش قريش ، وعن محمد وأصحابه ، وما بلغه صلى الله عليه وسلم من أخبارهم: قال الشيخ لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا أخبرتنا أخبرناك» فقال: أو ذاك بذاك؟ قال: «نعم» ، فقال الشيخ: فإنه بلغني أن محمدًا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، للمكان الذي به جيش المسلمين ، وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، للمكان الذي فيه جيش المشركين فعلاً ، ثم قال الشيخ: لقد أخبرتكما عما أردتما ، فأخبراني ممن أنتما؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نحن من ماء» ، ثم انصرف النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر عن الشيخ ، وبقي هذا الشيخ يقول: ما من ماء؟ أمن ماء العراق؟.

وفي مساء ذلك اليوم الذي خرج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر، أرسل عليه الصلاة والسلام علي بن أبي طالب ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ، في نفر من أصحابه إلى ماء بدر يتسقطون له الأخبار عن جيش قريش ، فوجدوا غلامين يستقيان لجيش المشركين فأتوا بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لهما: «أخبراني عن جيش قريش» فقالا: هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى ، فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كم القوم؟» قالا: كثير، قال: «ما عدتهم؟» قالا: لا ندري ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «كم ينحرون كل يوم؟» قالا: يوماً تسعاً ويوماً عشراً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «القوم ما بين التسعمائة والألف» ، ثم قال لهما: فمن فيهم من أشراف قريش؟ فذكرا عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا جهل وأمية بن خلف في آخرين من صناديد قريش ، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه قائلاً: «هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها» .

كان من هدي النبي صلى الله عليه وسلم حرصه على معرفة جيش العدو والوقوف على أهدافه ومقاصده ؛ ولأن ذلك يعينه على رسم الخطط الحربية المناسبة لمجابهته وصد عدوانه , فقد كانت أساليبه في غزوة بدر في جمع المعلومات تارة بنفسه وأخرى بغيره ، وكان صلى الله عليه وسلم يطبق مبدأ الكتمان في حروبه ، فقد أرشد القرآن الكريم المسلمين إلى أهمية هذا المبدأ قال تعالى: (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إلى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً) [النساء: 83] ، وقد تحلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفة الكتمان في عامة غزواته ، فعن كعب بن مالك - رضي الله عنه - قال: (ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة إلا ورَّى بغيرها ... ) ، وفي غزوة بدر ظهر هذا الاجراء بالآتي:

1- سؤاله صلى الله عليه وسلم الشيخ الذي لقيه في بدر عن محمد وجيشه ، وعن قريش وجيشها .

2- تورية الرسول صلى الله عليه وسلم في إجابته عن سؤال الشيخ ممن أنتما؟ بقوله صلى الله عليه وسلم: «نحن من ماء» وهو جواب يقتضيه المقام ، فقد أراد به صلى الله عليه وسلم كتمان أخبار جيش المسلمين عن قريش .

3- وفي انصرافه فور استجوابه كتمانٌ أيضاً , وهو دليل على ما يتمتع به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحكمة ، فلو أنه أجاب هذا الشيخ ثم وقف عنده لكان هذا سبباً في طلب الشيخ بيان المقصود من قوله صلى الله عليه وسلم: «من ماء» .

4- أمره صلى الله عليه وسلم بقطع الأجراس من الإبل يوم بدر، فعن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالأجراس أن تقطع من أعناق الإبل يوم بدر.

5- كتمانه صلى الله عليه وسلم خبر الجهة التي يقصدها عندما أراد الخروج إلى بدر، حيث قال صلى الله عليه وسلم: ( ... إن لنا طلبةً فمن كان ظهره حاضراً فليركب معنا ... ) .

**مشورة الحباب بن المنذر في بدر:**

بعد أن جمع صلى الله عليه وسلم معلومات دقيقة عن قوات قريش سار مسرعاً ومعه أصحابه إلى بدر ليسبقوا المشركين إلى ماء بدر، وليَحُولوا بينهم وبين الاستيلاء عليه ، فنزل عند أدنى ماء من مياه بدر، وهنا قام الحباب بن المنذر، وقال: يا رسول الله: أرأيت هذا المنزل ، أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة» قال: يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل ، فانهض يا رسول الله بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم- أي جيش المشركين - فننزله ونغور – نخرب - ما وراءه من الآبار ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم , فنشرب ولا يشربون ، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم برأيه ونهض بالجيش حتى أقرب ماء من العدو فنزل عليه , ثم صنعوا الحياض وغوروا ما عداها من الآبار , وهذا يصور مثلاً من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم مع أصحابه حيث كان أي فرد من أفراد ذلك المجتمع يدلي برأيه حتى في أخطر القضايا ، ولا يكون في شعوره احتمال غضب القائد الأعلى ، ثم حصول ما يترتب على ذلك الغضب من تدني سمعة ذلك المشير بخلاف رأي القائد وتأخره في الرتبة وتضرره في نفسه أو ماله .

إن هذه الحرية التي ربَّى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه مكنت مجتمعهم من الاستفادة من عقول جميع أهل الرأي السديد والمنطق الرشيد ، فالقائد فيهم ينجح نجاحاً باهراً ، وإن كان حديث السن ؛ لأنه لم يكن يفكر برأيه المجرد , أو آراء عصبة مهيمنة عليه قد تنظر لمصالحها الخاصة قبل أن تنظر لمصلحة المسلمين العامة ، وإنما يفكر بآراء جميع أفراد جنده ، وقد يحصل له الرأي السديد من أقلهم سمعة وأبعدهم منزلة من ذلك القائد ؛ لأنه ليس هناك ما يحول بين أي فرد منهم والوصول برأيه إلى قائد جيشه .

**موقف المشركين لما قدموا إلى بدر:**

بين سبحانه وتعالى موقف المشركين لما قدموا إلى بدر, قال تعالى: (إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) [الأنفال: 19].

ولما وصل جيش مكة إلى بدر دب فيهم الخلاف وتزعزعت صفوفهم الداخلية ، فعن ابن عباس - رضي الله عنه - قال: «لما نزل المسلمون وأقبل المشركون ، نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عتبة بن ربيعة وهو على جمل أحمر، فقال: «إن يكن عند أحد من القوم خير فهو عند صاحب الجمل الأحمر, إن يطيعوه يرشدوا» وهو يقول: يا قوم أطيعوني في هؤلاء القوم فإنكم إن فعلتم لن يزال ذلك في قلوبكم , ينظر كل رجل إلى قاتل أخيه وقاتل أبيه ، فاجعلوا حقها برأسي وارجعوا ، فقال أبو جهل: انتفخ والله سحره , حين رأى محمداً وأصحابه ، إنما محمد وأصحابه أكلة جزور لو قد التقينا ، فقال عتبة: ستعلم من الجبان المفسد لقومه ، أما والله إني لأرى قوماً يضربونكم ضرباً ، أما ترون كأن رؤوسهم الأفاعي وكأن وجههم السيوف .. .

تحدث حكيم بن حزام عن يوم بدر، وكان في صفوف المشركين قبل إسلامه ، قال: خرجنا حتى نزلنا العدوة التي ذكرها الله عز وجل ، فجئت عتبة بن ربيعة فقلت: يا أبا الوليد هل لك أن تذهب بشرف هذا اليوم ما بقيت؟ قال: أفعل ماذا؟ قلت: إنكم لا تطلبون من محمد إلا دم ابن الحضرمي , وهو حليفك فتحمل ديته وترجع بالناس ، فقال أنت وذاك وأنا أتحمل ديته ، واذهب إلى ابن الحنظلية يعني -أبا جهل- فقل له: هل لك أن ترجع اليوم بمن معك عن ابن عمك؟ فجئته فإذا هو في جماعة من بين يديه ومن ورائه ، وإذا ابن الحضرمي واقف على رأسه وهو يقول: قد فسخت عقدي من عبد شمس ، وعقدي إلى بني مخزوم فقلت له: يقول لك عتبة بن ربيعة: هل لك أن ترجع اليوم عن ابن عمك بمن معك؟ قال: أما وجد رسولا غيرك؟ قلت: لا ولم أكن لأكون رسولاً لغيره ، قال حكيم: فخرجت مبادراً إلى عتبة ، لئلا يفوتني من الخبر شيء ، فهذا عتبة بن ربيعة وهو في القيادة من قريش لا يرى داعياً لقتال محمد ، وقد دعا قريش بترك محمد فإن كان صادقاً فيما يدعو إليه فعزه عز قريش وملكه ملكها ، وستكون أسعد الناس به ، وإن كان كاذباً فسيذوب في العرب وتنهيه .

ارسلت قريش عمير بن وهب الجمحي ليحرز لهم أصحاب محمد ، فاستجال حول العسكر ثم رجع إليهم فقال: ثلاثمائة رجل يزيدون قليلاً أو ينقصون ، ولكن أمهلوني أنظر أللقوم كمين أو مدد ، قال: فضرب في الوادي حتى أبعد فلم ير شيئاً ، ولكن قد رأيت يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا , نواضح يثرب تحمل الموت الناقع ، قوم ليس لهم منعة إلا سيوفهم ، والله ما أرى أن يُقتل رجل منهم حتى يقتل رجلاً منكم ، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك ، فُروا رأيكم .

ورفض أمية بن خلف الخروج من مكة ابتداء خوفاً من الموت ، فأتاه أبو جهل فقال: يا أبا صفوان إنك متى يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد أهل الوادي تخلفوا معك ، فلم يزل به أبو جهل حتى قال: أما إذا غلبتني ، فوالله لأشترين أجود بعير بمكة . ثم قال أمية: يا أم صفوان جهزيني . فقالت له: أبا صفوان وقد نسيت ما قال لك أخوك اليثربي؟ تقصد سعد بن معاذ عندما قال له: سمعت رسول الله يقول: إنهم لقاتلوك ، قال: لا ، ما أريد أن أجوز معهم إلا قريباً , فلما خرج أمية أخذ لا يترك منزلاً إلا عقل بعيره ، فلم يزل بذلك حتى قتله الله عز وجل ببدر.

**بناء عريش القيادة :**

بعد نزول النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين معه على أدنى ماء بدر من المشركين ، اقترح سعد بن معاذ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بناء عريش له يكون مقراً لقيادته ويأمن فيه من العدو، وكان مما قاله سعد في اقتراحه: (يا نبي الله ألا نبني لك عريشاً تكون فيه ثم نلقى عدونا ، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا ، فقد تخلف عنك أقوام , يا نبي الله ، ما نحن بأشد لك حباً منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم ، ويناصحونك ، ويجاهدون معك) فأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ودعا له بخير، ثم بنى المسلمون العريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم على تل مشرف على ساحة القتال ، وكان معه فيه أبو بكر - رضي الله عنه - , وكانت ثلة من شباب الأنصار بقيادة سعد بن معاذ يحرسون عريش رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويستفاد من بناء العريش أمور, منها:

1- لا بد أن يكون مكان القيادة مشرفاً على أرض المعركة ، يتمكن القائد فيه من متابعة المعركة وإدارتها .

2- ينبغي أن يكون مقر القيادة آمناً بتوافر الحراسة الكافية له .

3- ينبغي الاهتمام بحياة القائد ، وصونها من التعرض لأي خطر.

4- ينبغي أن يكون للقائد قوة احتياطية أخرى تعوض الخسائر التي قد تحدث في المعركة .

**خطة الرسول صلى الله عليه وسلم في المعركة :**

ابتكر الرسول صلى الله عليه وسلم في قتاله مع المشركين يوم بدر أسلوباً جديداً في مقاتلة أعداء الله تعالى ، لم يكن معروفاً من قبل حتى قاتل صلى الله عليه وسلم بنظام الصفوف , وهذا الأسلوب أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: (إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ) [الصف: 4] .

وصفة هذا الأسلوب: أن يكون المقاتلون على هيئة صفوف الصلاة , وتقل هذه الصفوف أو تكثر تبعاً لقلة المقاتلين أو كثرتهم ، وتكون الصفوف الأولى من أصحاب الرماح لصد هجمات الفرسان , وتكون الصفوف التي خلفها من أصحاب النبال ، لتسديدها من المهاجمين على الأعداء .

اتبع صلى الله عليه وسلم أسلوب الدفاع ولم يهاجم قوة قريش ، وكانت توجيهاته التكتيكية التي نفذها جنوده بكل دقة سببًا في زعزعة مركز العدو، وإضعاف نفسيته ، وبذلك تحقق النصر الحاسم بتوفيق الله على العدو برغم تفوقه ، بنسبة 3 إلى 1 , فقد كان صلى الله عليه وسلم يتصرف في كل موقف حسب ما تدعو إليه المصلحة ؛ وذلك لاختلاف مقتضيات الأحوال والظروف ، وقد طبق الرسول صلى الله عليه وسلم في الجانب العسكري أسلوب القيادة التوجيهية في مكانها الصحيح .

أما أخذه بالأسلوب الإقناعي في غزوة بدر فقد تجلى في ممارسة فقه الاستشارة في مواضع متعددة ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم لا يقود جنده بمقتضى السلطة ، بل بالكفاءة والثقة ، وهو صلى الله عليه وسلم أيضاً لا يستبد برأيه ، بل يتبع مبدأ الشورى وينزل على الرأي الذي يبدو صواباً ، ومارس صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر أسلوب القيادة التوجيهية .

وفي غزوة بدر الكبرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض» . فقال عمير بن الحمام الأنصاري - رضي الله عنه -: يا رسول الله جنة عرضها السماوات والأرض؟ قال: «نعم» . قال: بخٍ بخٍ (كلمة تعجب). فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما يحملك على قول: بخٍ بخٍ؟» . قال: لا والله يا رسول الله ، إلا رجاء أن أكون من أهلها قال: «فإنك من أهلها» ، فأخرج تمرات من قرنه (جعبة النشاب) فجعل يأكل منه ، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة ، قال: فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قُتل ، فقاتل رحمه الله حتى استشهد .

ومن صور التعبئة المعنوية أنه صلى الله عليه وسلم كان يبشرهم بقتل صناديد المشركين ، وزيادة لهم في التطمين كان يحدد مكان قتلى كل واحد منهم , كما كان يبشر المؤمنين بالنصر قبل بدء القتال فيقول: «أبشر أبا بكر» ، ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للصحابة رضوان الله عليهم: «والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة» .

لما نظم صلى الله عليه وسلم صفوف جيشه ، وأصدر أوامره لهم وحرضهم على القتال ، رجع إلى العريش الذي بُني له ومعه صاحبه أبو بكر - رضي الله عنه - , وسعد بن معاذ على باب العريش لحراسته وهو شاهر سيفه ، واتجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ربه يدعوه ويناشده النصر الذي وعده ويقول في دعائه: «اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تُعبد في الأرض أبداً» ، وما زال صلى الله عليه وسلم يدعو ويستغيث حتى سقط رداؤه ، فأخذه أبو بكر ورده على منكبيه وهو يقول: يا رسول الله كفاك مناشدتك ربك فإنه منجز لك ما وعدك , فأنزل الله عز وجل: (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ) ، وفي رواية ابن عباس قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر: «اللهم أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن شئت لم تعبد» فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك الله ، فخرج صلى الله عليه وسلم وهو يقول: (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ) .

وروى ابن إسحاق: أنه صلى الله عليه وسلم قال: «اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادّك وتكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذي وعدتني» ، وهذا درس رباني مهم لكل قائد أو حاكم أو زعيم أو فرد في التجرد من النفس وحظها ، والخلوص واللجوء لله وحده ، والسجود والجثي بين يدي الله سبحانه ؛ لكي ينزل نصره ويبقى مشهد نبيه ، وقد سقط رداؤه عن كتفه وهو مادٌّ يديه يستغيث بالله , يبقى هذا المشهد محفوراً بقلبه ووجدانه ، يحاول تنفيذه في مثل هذه الساعات ، وفي مثل هذه المواطن ، حيث تناط به المسئولية وتلقى عليه أعباء القيادة .

بعد أن دعا صلى الله عليه وسلم ربه في العريش ، واستغاث به خرج من العريش فأخذ قبضة من التراب ، وحصَبَ بها وجوه المشركين وقال: «شاهت الوجوه» ثم أمر صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يصدقوا الحملة إثرها ففعلوا ، فأوصل الله تعالى تلك الحصباء إلى أعين المشركين فلم يبقَ أحد منهم إلا ناله منها ما شغله عن حاله ؛ ولهذا قال الله تعالى: (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى) [الأنفال: 17] ، ومعنى الآية: أن الله سبحانه أثبت لرسوله ابتداء الرمي ، ونفى عنه الإيصال الذي لم يحصل برميته , فالرمي يراد به الحذف والإيصال فأثبت لنبيه الحذف ، ونفى عنه الإيصال ، ونلحظ أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخذ بالأسباب المادية والمعنوية وتوكل على الله ، فكان النصر والتأييد من الله تعالى ، فقد اجتمع في بدر الأخذ بالأسباب بالقدر الممكن مع التوفيق الرباني في تهيئة جميع أسباب النصر متعاونة متكافئة مع التأييدات الربانية الخارقة والغيبية ، ففي عالم الأسباب تشكل دراسة الأرض والطقس ووجود القيادة والثقة بها والروح المعنوية لبنات أساسية في صحة القرار العسكري ، ولقد كانت الأرض لصالح المسلمين ، وكان الطقس مناسباً للمعركة ، والقيادة الرفيعة موجودة والثقة بها كبيرة ، والروح المعنوية مرتفعة ، وبعض هذه المعاني كان من الله بشكل مباشر وتوفيقه , وبعضها كان من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذاً بالأسباب المطلوبة ، فتضافر الأخذ بالأسباب مع توفيق الله وزيد على ذلك التأييدات الغيبية والخارقة فكان ما كان , وذلك نموذج على ما يعطاه المسلمون بفضل الله إذا ما صلحت النيات عند الجند والقادة ، ووجدت الاستقامة على أمر الله ، وأخذ المسلمون بالأسباب .

**نشوب القتال وهزيمة المشركين**

اندلع القتال بين المسلمين والمشركين بالمبارزات الفردية، فخرج من جيش المشركين عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد وطلبوا المبارزة ، فخرج إليهم ثلاثة من الأنصار، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم أرجعهم ؛ لأنه أحب أن يبارزهم بعض أهله وذوي قرباه ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: «قم يا عبيدة بن الحارث ، وقم يا حمزة ، وقم يا علي» ، وبارز حمزة شيبة فقتله ، وبارز علي الوليد وقتله ، وبارز عبيدة بن الحارث عتبة فضرب كل واحد منهما الآخر بضربة موجعة ، فكر حمزة وعليَّ على عتبة فقتلاه ، وحملا عبيدة وأتيا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن ما لبث أن استُشهد متأثرا من جراحته وقد قال عنه صلى الله عليه وسلم: «أشهد أنك شهيد» وفي هؤلاء الستة نزل قوله تعالى: (هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ - يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ - وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ - كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ - إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ - وَهُدُوا إلى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إلى صِرَاطِ الْحَمِيدِ) [الحج: 19 - 24] .

ولما شاهد المشركون قتل الثلاثة الذين خرجوا للمبارزة استشاطوا غضباً وهجموا على المسلمين هجوماً عاماً ، صمد وثبت له المسلمون ، وهم واقفون موقف الدفاع ، ويرمونهم بالنبل كما أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم , وكان شعار المسلمين: أَحَد أَحَد ، ثم أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالهجوم المضاد محرضاً لهم على القتال وقائلا لهم: «شدوا» وواعدًا من يقتل صابراً محتسباً بأن له الجنة , ومما زاد في نشاط المسلمين واندفاعهم في القتال سماعهم قول النبي صلى الله عليه وسلم: (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ) وعلمهم وإحساسهم بإمداد الملائكة وبتقليلهم في أعين المسلمين وتقليل المسلمين بأعين المشركين ، فقد كان صلى الله عليه وسلم قد رأى في منامه ليلة اليوم الذي التقى فيه الجيشان , رأى المشركين عددهم قليل ، وقد قص رؤياه على أصحابه فاستبشروا خيرًا قال تعالى: (إِذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأمْرِ وَلَكِنَّ اللهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) .

انتهت معركة بدر بانتصار المسلمين على المشركين , وكان قتلى المشركين سبعين رجلاً ، وأسر منهم سبعون ، وكان أكثرهم من قادة قريش وزعمائهم ، واستشهد من المسلمين أربعة عشر رجلاً ، منهم ستة من المهاجرين ، وثمانية من الأنصار, ولما تم الفتح وانهزم المشركون أرسل صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة وزيد بن حارثة ليبشرا المسلمين في المدينة بنصر الله للمسلمين وهزيمة المشركين .

**نتائج غزوة بدر:**

1- كان من نتائج غزوة بدر أن قويت شوكة المسلمين ، وأصبحوا مرهوبين في المدينة وما جاورها ، وأصبح على من يريد أن يغزو المدينة أو ينال من المسلمين أن يفكر ويفكر قبل أن يقدم على فعلته ، وتعززت مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة ، وارتفع نجم الإسلام فيها .

2- أما قريش فكانت خسارتها فادحة فإضافة إلى مقتل أبي جهل بن هشام وأمية بن خلف وعتبة بن ربيعة وغيرهم من زعماء الكفر الذين كانوا من أشد القرشيين شجاعة وقوة وبأساً ، ولم تكن غزوة بدر خسارة حربية لقريش فحسب ، بل خسارة معنوية أيضاً ، ذلك أن المدينة لم تعد تهدد تجارتها فقط ، بل أصبحت تهدد أيضا سيادتها ونفوذها في الحجاز كله ، كان خبر الهزيمة على أهل مكة كالصاعقة ، ولم يصدقوا ذلك في بداية الأمر .

لقد تركت غزوة بدر بنفوس أهل مكة المشركين كمداً وأحزاناً وآلاماً بسبب هزيمتهم ومن فُقدوا وأسروا ، فهذا أبو لهب لم يلبث أن أصيب بعلة ومات ، وهذا أبو سفيان فقد ابناً له وأُسر له ابنٌ آخر، وما من بيت من بيوت مكة إلا وفيه مناحة على قتل عزيز أو قريب ، أو أسر أسير, فلا عجب أن كانوا صمموا في أنفسهم على الأخذ بالثأر، حتى إن بعضهم حرم على نفسه الاغتسال حتى يأخذ بالثأر ممن أذلوهم ، وقتلوا أشرافهم وصناديدهم ، وانتظروا يترقبون الفرصة للقاء المسلمين والانتصاف منهم ، فكان ذلك في أحد .

3- أما اليهود فقد هالهم أن ينتصر المسلمون في بدر، وأن تقوى شوكتهم فيها ، وأن يعز الإسلام ويظهر على دينهم ويكون لرسوله دونهم الحظوة والمكانة , فصمموا على نقض العهد الذي عاهدوا عليه النبي صلى الله عليه وسلم عندما قدم المدينة ، وأظهروا عداوتهم التي كانت كامنة في نفوسهم ، وأخذوا يجاهرون بها القوم ويعلنون ، ثم راحوا يكيدون للإسلام ولرسوله ، ويعملون للقضاء عليه بكل الوسائل المتاحة لديهم , وبدءوا يتحرشون بالنبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، وما كان النبي صلى الله عليه وسلم ليخفى عليه شيء من ذلك فقد كان يراقبهم عن حذر ويقظة ، حتى استخفُّوا بالمقررات الخلقية ، والحرمات التي يعتز بها المسلمون واستعلنوا بالعداوة فلم يكن بد من حربهم وإجلائهم عن المدينة .